[١ و] # الحجر الكريم
في اصول الطب
القديم

[١ ت] بسم الله الشافي

الحمد لله الذى خلق الداء والدواء . واماتَ واحيى من يشاء . اما بعدُ فيقول العبد الفقير ناصيف بن عبد الله اليازجى اللبنانيُّ انى قد وضعت هذه الارجوزة على منهج الطبّ القديم الذى غَبَت فى هذا العصر نارهُ . ونَبَت دارهُ . فصار اذلَّ من وتد . بعد ما [كان] اعزَّ من جبهة الاسد . وذلك لاشتغال الناس بالطبّ الجديد . [لانهم] يعتقدون انهُ هو الطبُّ المفيد . وقد علّقت على هذا المتن [شرحاً] تنكشف به مقاصدهُ . واضفت اليه زيادات تتمُّ بها فوائدهُ . وسمّيتهُ الحجر الكريم فى اصول الطبّ القديم . وانا التمس من ذوى الانصاف ان يتلقّوهُ بالقبول . ولا يحتسبوهُ من الفضول . وبناء على ذلك اتقدّم فاقول

١ الطبُّ علمٌ يردُّ الزائله من صحّة الجسم ويُبقى الحاصله

ذكرنا في هذا البيت تعريف الطبّ بغايته الغائيّة . وهى استرجاع الصحّة الزائلة وهو الاكثر . وحفظ الصحّة الحاصلة وهو الاقلُّ . لان الطبيب يُدعَى غالباً لازالة المرض عن المريض . لا لحفظ الصحّة على الصحيح كما لا يخفى

[٢ و] ٢ وهوَ على العلم انطوى والعمل فالعلم منه[1] نظرٌ في العلل

٣ والعمل القانون فى العلاج ليستقيم أودُ المزاج

١) منه : وفي « الطبيب » : فيه

اى ان الطبَّ ينقسم الى العلم والعمل. فالعلم هو النظر في حقيقة الامراض واسبابها وعلاماتها . والعمل هو معرفة قوانين العلاج . إمَّا بالادوآء كالانضاج والاسهال والحبس ونحو ذلك . او باليد كالفصد والحجامة والشرط وما اشبه

٤ وذلك المزاج بالاخلاطِ يقومُ بالعدلِ أوِ الافراطِ
٥ والخلط فى ابداننا هو[1] الدمُ والمرَّتانِ[2] وكذاك[3] البلغمُ

اى ان المزاج يقوم بالاخلاط التى فى ابداننا . وهى الدم وهو حارٌّ رطب. والصفرآء وهى حارَّةٌ يابسة . والسوداء وهى باردة يابسة . والبلغم وهو باردٌ رطب . فيعادل كلٌّ نقيضٌ منها نقيضهُ . وبذلك يحصل من مجموعها المزاج الذى يقوم به البدن. وباعتبار هذه الكيفيَّات المذكورة يعبّرون عن الدم بالهوآء. وعن الصفرآء بالنار . وعن السوداء بالتراب . وعن البلغم بالماء . فيقولون ان البدن مركَّبٌ من هذه الاربعة ويسمّونها الاركان . وباعتبار هذا التركيب يطلقون عليها العناصر ايضاً لا باعتبار كونها بسيطةً كما يتوهَّم من يعترض عليهم . ويفرضون لهذه الاخلاط مقادير فى البدن بحسب الوضع . فيقولون ان [٢ ق] البلغم سدس الدم . والصفرآء سدس البلغم . والسوداء ثلثة ارباع الصفرآء . وهاتان هما المراد بالمرَّتين فى النظم . والمزاج يكون على حسب هذه الاخلاط فان اعتدلت على حسب وضعها الطبيعىّ كان معتدلاً. والَّا فلا. واعلم ان من هذه الاخلاط ما هو طبيعىّ . ولهُ من الكيفيَّة والمقدار ما ذكرناهُ . ومنها ما ليس كذلك. اما الصفرآء فانها حمرآء ناصعة وهى الطبيعيَّة. ومنها مِحَيَّةٌ[4] اى شبيهةٌ بمحّ البيض اى صفرته . ومنها كرَّاثيَّة اى زرقآء كلون الكرّاث . ومنها زنجاريَّةٌ اى خضرآء كلون الزنجار . والحمرآء الناصعة هى رغوة الدم وتتولّد فى الكبد. والمِحَيَّةُ[4] تتولّد من مخالطتها للمآئيّة ولذلك

١) هو : وفي « الطيب » : وهو
٢) والمرَّتان : وفي « الطبيب » : والمِدَّتان ، وهو تصحيف ظاهر .
٣) وكذاك : وفي « الطبيب » : وكذلك ، وهو خطأ واضح
٤) مِحَيَّة : كذا بخطّ الشيخ ناصيف ، بكسر الميم . وفي كتب اللغة : المُحّ ، بضم الميم : صفرة البيض

هي اقلُّ حرارةً . والكرّائيّة تتولّد في المعدة وهي اكثر حدّةً . والزنجاريّة تتولد من شدّة الاحتراق وهي اشدُّ الجميع حرارةً واكثر رداءةً . واما السوداء فمنها ما هو طبيعيٌّ وهو دردئُ الدم وعكرهُ . وهذه خالصة البرودة واليبوسة . ومنها ما هو خارجٌ عن الطبيعة . وهو ما تولّد عن احتراق الاخلاط . وهذه شديدة السخونة والجفاف رديّة الكيفيّة . واما البلغم فمنهُ ما هو تفهٌ اي لا طعم لهُ وهو الخلط الاصليُّ . ومنه ما تغلب عليه الحرارة فيكون حلواً . فان اشتدّت كان مالحاً . او يغلب عليهِ البرد فيكون حامضاً . فان اشتدّ كان [٣ و] زجاجيًّا اي كقطع الزجاج . والتفه منهُ خالص البرودة والرطوبة . والحلو يميل الى الحرارة والرطوبة . والمالح اشدُّ حرارةً واقلُّ رطوبةً . والحامض يميل الى البرد واليبس . والزجاجيُّ اغلظ قواماً واشدُّ برودةً . وكل ما سوى الطبيعيّ من هذه الاصناف متفرّعٌ منه لاعراض اخرجتهُ عن وضعه . أمّا الدم فهو صنفٌ واحدٌ غير ان حرارتهُ تزيد او تنقص بحسب غلبة ما سواهُ من الاخلاط . وهو الخلط الاصليُّ والغذاء الحقيقيُّ وبهِ قوام الحيوة . والثلثة الأُخر فضلةٌ وتوابع لهُ . وهو يتولّد ممّا نضج من الكيلوس اي خلاصة الطعام . ومحلُّهُ العروق والشرايين . والبلغم يتولّد من الكيلوس القاصر النضج . ومحلُّهُ فم المدة . والصفراء تتولّد من الكيلوس المتجاوز النضج . ومحلّها المرارة . والسوداء تتولّد من الكيلوس المتزمّد . ومحلّها الطحال . ولذلك يقولون ان الدم كنضيج . والبلغم كنيّ . والصفراء كمحترق . والسوداء كمتجاوز الاحتراق . ولا يخلو الدم من ممازجة شيء له من بقيّة الاخلاط لتلطيفهِ بالصفراء . وتسليمهِ بالبلغم . وتماسكهِ بالسوداء . ولذلك ترى الدم المستفرغ في الاناء يطفو على وجههِ رغوةٌ وهي الصفراء . ويرسب في اسفلهِ عكرٌ اسود وهو السوداء . ويتعلّق بينهما خطوطٌ بيض مشتبكة وهي البلغم

٦ يعتدل الجسمُ لدى اعتدالها فيهِ ويختلُّ لدى اختلالها

٧ والكلُّ باستفراغهِ يُداوَى ان زاد او اصلاحهِ ان ساوى

[٣قا] ٨ فان لَقِي الزيادةَ التعفُّنُ فيهما علاجُهُ يُبيِّنُ

اى ان الجسم يعتدل فى صحّته عند اعتدال هذه الاخلاط جاريةً على حسب وضعها . وينحرف عن الصحّة عند انحرافها عن المجرى الطبيعىّ . وكلُّ واحدٍ منها اذا زاد عن مقدارهِ يُداوَى بالاستفراغ حتى يرجع الى القدر الموضوع لهُ . واذا فسد بدون زيادةٍ يُداوى باصلاحهِ حتى يرجع الى الصلاح الذى كان عليهِ . فان اجتمع مع الزيادة التعفُّن كما يكون فى الحُمّيات عُولج بالاستفراغ لتنقيص الزائد . والاصلاح لتعديل المتعفّن بانتزاع الفساد منهُ

٩ واكثر الامراض عنها يصدرُ[1] وما اتى عمّا سواها يندرُ

اى ان اكثر الامراض يحدث عن الاخلاط المتولّدة عن الطعام والشراب اذا خرجت عن مجراها الطبيعىّ . وعلى ذلك قول الشاعر

عدوُّك من صديقك مستفادٌ فلا تستكثرنَّ من الصحابِ
فان السقم اكثر ما تراهُ يكونُ من الطعامِ أو الشرابِ

وقد بنى ابن فائدٍ كتاباً فى الطبّ على آيةٍ من القرآن يقول فيها كلوا واشربوا ولا تسرفوا[2] . ومنه الحديث فى كتاب الطبّ النبوىّ ان المعدة بيت الدآء والحمية راس كل دوآء . وما حدث من الامراض عن غير ذلك فهو نادرٌ او راجعٌ اليهِ

١٠ واكثر الصادر عنها الحُمّى عند اشتعالٍ[3] بعد عفنٍ يحمّى

[٤ و] اى ان اكثر الامراض التى تحدث عن الاخلاط هو الحُمّى . وذلك يكون عند اشتعال الاخلاط التى قد تعفّنت فصلت فيها الحرارة كما يكون فى السرقين الرطب المجتمع ونحوهِ . ومن ذلك تحدث الحُمّى . فان كان الاشتعال شديداً تقدّمها البرد النافض كما يحدث لمن صُبَّ عليه الماء الشديد السخونة . وان

١) يصدرُ : وفى « الطيب » : تصدرُ

٢) « يا بنى آدمَ خُذوا زينَتَكُم عند كلِّ مسجدٍ وكُلُوا واشرَبوا ولا تُسرِفوا إنّه لا يُحبُّ المُسرِفين . » (القرآن ٧ [الاعراف] ٢٩)

٣) اشتعال : وفى « الطيب » : اشتعال ، وهو تصحيف ظاهر .

كان خفيفاً تقدّمتهُ قشعريرةٌ او بردٌ في الاطراف . واعلم انهم عرّفوا الحُمّى بانها حرارةٌ غريبة تشتعل في القلب وتنبثُّ منهُ بتوسُّط الروح والدم في العروق والشرايين في جميع البدن . وقسموها الى حُمّى مرض وحُمّى عرض . وقسموا حمّى المرض الى حُمّى العفونة وهي تتعلّق بالاخلاط . وحُمّى الدِقّ وهي تتعلّق بالاعضاء . وقسموا حُمّى العَرَض الى خارجيّةٍ وهي ما كانت عن سببٍ خارجٍ كالغضب . وهي تتعلّق بالارواح . ويُقال لها حُمّى يوم لان نوبتها تكون في الغالب يوماً واحداً ولا تعود . وبدنيّة وهي الحادثة عن الاورام ونحوها . ويُقال لها الحُمّى التابعة

١١ وذاك يجري غالباً في المِعده تنوب معهُ مُدّةً فمُدّه

اى ان الاشتعال الصادر عن تعفّن الاخلاط يكون غالباً في المعدة . وحينئذٍ يُقال لها المُتوقّد بصيغة اسم المكان . والحُمّى الحادثة عنه تاخذ مدّةً وتترك مدّةً . وذلك انها تاخذ عند اشتعال الاخلاط . وتنقضي عند فناء ما اشتعل منها [؟ ق] الى ان تجتمع طايفةٌ اخرى فيتجدّد ذلك الاشتعال وتاخذ في نوبةٍ اخرى . كما تتوقّد النار عند اشتعال الحطب وتخمد عند ترمُّدهِ الى ان يُطرح لها حطبٌ آخر فتعود الى الاشتعال . والخلط الفاعل لهذه الحُمّى هو ما سوى الدم من الاخلاط لان مُستوقَدهُ لا يكون في المعدة كما ستعلم

١٢ وما عن البلغم يومياً يَرِد وما عن الصفراء غِبّاً يفتقد
١٣ وتترك السوداء يومين يِدَى[1] والكلّ بالاسهال عالج ابدا

اى ان الحُمّى الحادثة عن البلغم تنوب كلّ يوم . وذلك لكثرة البلغم ورطوبتهِ الداعية الى التعفّن . والحادثة عن الصفراء تنوب يوماً بعد يوم لانها اقلُّ منهُ وابعد عن التعفّن ليبوستها . ويُقال لها حُمّى الغِبّ . والحادثة عن السوداء تنوب يوماً وتترك يومين لانها اقلُّ الاخلاط وابعدها عن الاشتعال . ويُقال لها حُمّى الربع لانها تاخذ في الثلثة الايام ثماني عشرة ساعةً وهي ربع

(١) يِدَى : كذا بخطّ الشيخ ناصيف ، بكسر السين . وفي كتب اللغة : سُدى ، بالضمّ .

الاثنتين والسبعين ساعةً التي تشتمل عليها الايام المذكورة . وكلُّ هذه الحُمَّيات الثلاث تُعالَج باستفراغ الخلط الفاعل وهو العمدة في علاجها

١٤ وفي العروق ذاكَ طورًا يجثمُ وهو يكون عن دمٍ فيلزمُ
١٥ وعن سواهُ في القليل يحصلُ والفصد في الكلِّ علاجٌ يُشملُ

[٥ و] اي ان مُستوقَد الحُمَّى يكون احيانًا في العروق . وذلك يكون غالبًا من تعفُّن الدم وغليانه . فتكون الحُمَّى الحادثة عنهُ لازمةً لا تفتر . ويُقال لها المُطبِقة . وقد يكون عن تعفُّن احد الاخلاط المصاحبة للدم في العروق فتكون الحُمَّى الحادثة عنه لازمةً ايضًا . ويُقال للصفراويَّة منها المحرقة . وللبلغميَّة اللَّثِقة . وللسوداويَّة الربع اللازمة . وكلُّ ذلك يُعالَج بالفصد لان المهل لا سبيل لهُ الى استفراغ ذلك الخلط

١٦ وربَّما نائبةٌ تُركَّبُ مع مثلها او ضدِّها تستصحبُ
١٧ فركِّبِ العلاج مع كلٍّ بما عُولج في الإفراد[1] كلٌّ منهما

اي ان الحُمَّى النائبة قد تتركَّب مع نائبة اخرى . وذلك عند تعفُّن خلطين معًا . فتاخذ كلُّ واحدةٍ في طريق نوبتها كما تتركَّب الحُمَّى الصفراويَّة مع البلغميَّة فتنوب الحُمَّى كلَّ يوم بحسب نوبة البلغميَّة . وتشتدُّ يومًا بعد يوم بحسب نوبة الصفراويَّة . وعلى ذلك تكون النوبة يوم انفراد البلغميَّة خفيفةً بالنسبة الى يوم اجتماع الصفراويَّة معها فانها تكون اثقل . وهذه الحُمَّى هي التي يُقال لها شطر النبّ وقد تتركَّب الحُمَّى النائبة مع اللازمة . وذلك عندما يكون التعفُّن في المعدة والعروق جميعًا . فتكون الحمّى دائمةً غير انها تشتدُّ في يوم نوبة الخلط المتعفِّن [٥ ق] في المعدة بحسب نوبته . وعلى ذلك يجب ان يُركَّب العلاج مما تعالَج به كلُّ واحدةٍ منها لو كانت مفردةً

١٨ بردٌ ورُطِّب انضِجِ افصُدْ[2] اسهلِ عرِّق وقطعُ الدور ان دام يَلي

---

١) في الإفراد : وفي « الطيب » : بالافراد

٢) افصُدْ : كذا بخطّ الشيخ ، بضمّ الصاد . وفي كتب اللغة : فصد يفصد ، بالكسر .

١٩ وهو علاجُ الحُمَّياتِ مطلقاً كلٌّ بما اقتضاهُ مما سَبَقا

اى ان علاج الحُمَّيات مطلقاً يكون بالتبريد والترطيب والانضاج والفصد والاسهال والتعريق كلّ واحدةٍ بحسب ما تقتضيهِ من هذه المذكورات. فان لم تنقطع النوبة بعد ذلك يُعطَى ما يقطعها من الادوية . ولا يجوز اعطاؤهُ قبل استيفاء ما ينبغى من هذه المعالجات الا اذا سقطت قوّة المريض فلم يحتمل التمادى فى العلاج . ويدخل تحت هذا الاطلاق حُمَّى الدقّ وحُمَّى اليوم فان علاجها يكون من هذا القبيل على حسب مقتضى الحال. واعلم ان من الاطبّاء من يختار اعطاء المسهل فى يوم نوبة الحُمَّى لان الاخلاط حينئذٍ تكون ثائرةً فيستفرغ منها ما لا يستفرغهُ فى وقت الفترة . ومنهم من يختار اعطاءه فى يوم الفترة لئلا تنضغط الطبيعة باجتماع الحُمَّى والاسهال عليها فتضعف بازاء المرض . فان كانت الحُمَّى تنوب كلّ يوم اجتهد ان يسبق مجيء النوبة ما امكن . وعلى هذا شاع الاستعمال عند الاطبّاء حرصاً على القوة

[٦ و]٢٠ ولا تبالغ حينما تُبرِّدُ فتمنعَ النضجَ بما تُبلِّذُ

٢١ كذاك فى التعريق حرصاً واجعلِ لكلِّ خلطٍ ما لهُ من مسهلِ

اى اذا اقتضى الحال التبريد لا يجوز الافراط فيهِ لانه يبلّد المادّة فيمنع النضج . لان الانضاج كالطبخ الذى يتمّ بحرارة النار ورطوبة الماء . وكذلك لا يجوز الافراط فى التعريق لان كثرة العرق تهلك قوّة المريض فيستظهر المرض عليها . وذلك يشمل تدبير الحُمَّيات وغيرها من الامراض

٢٢ ودورُ حُمَّى العفنِ ان تعدَّى يوماً وليلًا فعليك الفصدا

٢٣ وحيثما تفصدُ[1] فلا تستكثرِ نزفاً وان بعدُ اقتضى فكرِّرِ

اى اذا تجاوز دور الحُمَّى الثالثة اربعاً وعشرين ساعةً وجب الفصد لان ذلك لا يخلو من مشاركة العروق . اذ ليس من ادوار هذه الحُمَّى ما ينتهى

---

١) راجع الحاشية ٣ في الصفحة السابقة

الى هذا المقدار . وحيثما فصدت اى فى جميع الحُمّيات لا تستكثر من اخراج الدم حرصاً على حفظ القوّة وحذرًا من تغلُّب بقيّة الاخلاط . فان اقتضى الحال بعد ذلك تكرار الفصد لقصورهِ اولًا عن قضاء الحاجة كُرِّر ثانياً . فيكون ذلك اروح للطبيعة واخفّ عليها

٢٤ وما يخصُّ احد الاعضاء فى بدنٍ من سائر الادواء
٢٥ فقد يكونُ من مزاجٍ سادجٍ او غيرهِ من داخلٍ او خارجٍ
٢٦ فاستعرف الاسباب بالدلائلِ واستفرغ امتلاءها وقابلِ

[٦ ق] اى ان ما يختصُّ باحد الاعضاء من الامراض قد يكون من مزاجٍ سادجٍ كضعف الكبد الذى يكون عن سوء مزاجٍ بسيطٍ لا مادّة معهُ . وقد يكون من مادّةٍ كوجع المعدة الحادث من انصباب اخلاطٍ مراريّة اليها . وكلاهما قد يكون عن سببٍ داخلىٍّ كالصداع التابع للحُمّيات . او خارجىٍّ كالتشنُّج الحادث من ملاقاة الرياح الشديدة البرد . فيجب ان تُتعرَّف الاسباب المجهولة بالعلامات التى تدلُّ عليها . وحينئذٍ يُستفرَغ الامتلاء . ويُقابَل المزاج الحارّ [بالبارد] والبارد بالحارّ . واعلم ان الاسباب تتقدم عند الاطبّاء الى السابقة وهى المتقدّمة التى يحدث عنها المرض بعد انقضائها كالامتلاء الذى تحدث عنه الهيضة . والواصلة وهى الحاضرة التى يُوجَد المرض بوجودها ولا يزول الا بزوالها كالخرنة التى تحدث عنها الحُمّى . والبادية وهى الخارجيّة كالحرّ الشديد الذى يحدث عنه الصداع ونحو ذلك

٢٧ فاإن[1] يكُنْ محتبساً فى الراسِ فذاك يُستفرَغُ بالعُطاسِ
٢٨ واستعملوا غرغرةً للحلقِ وهكذا الفصدُ لما فى العرقِ
٢٩ ونفثُ ما فى الصدر والقىُّ لما فى معدةٍ مستوطنًا منها الفما
٣٠ وما انطوى فى جوفها بالمسهلِ يُلقى وبالحقنة ما فى الاسفلِ

---

١) فا : وفى « الطيب » : ان

٣١ وما استقرّ تحت جلدٍ بالعَلَق وما تخلّل الحبايا بالعَرَق[1]

[٧ و] اى ان ما كان من الفضول محتبساً فى الراس يُستفرَغ بالعطاس. وما فى الحلق بالغرغرة . وما فى العروق بالفصد . وما فى الصدر بالنفث . وما فى المعدة بالقيء . وما فى فضآئها بالاسهال . وما فى الامعآء السُفلى بالحُقَن . وما استقرّ تحت الجلد بالعَلَق . وما تخلّل مكامن الاعضآء بالعرق . وذلك يكون بان يُستعمل لكل استفراغ ما يستدعيه كشم الكُندُس للعطاس وغير ذلك من الوسائط فتدبّر

٣٢ وقابِلِ البارِدَ بالحارِ كما في رطبٍ ويابسٍ واعكسهما

٣٣ والحارُ غيرُ تَفِهٍ وحامضٍ وغير ذى عفوصةٍ وقابضِ

٣٤ واليبس دون تَفِهٍ حلوٍ[2] دسِم وذاك فى الاصل وبعضٌ ينخرم

اى ان البارد يُقابَل بالحار . والرطب يُقابَل باليابس . وكذلك يُدبَّر بالعكس فيُقابَل الحار بالبارد . واليابس بالرطب . والحار من ذوات الطعوم التى يُتداوَى بها هو ما سوى التفه والحامض والعفص والقابض فان هذه الاربعة كلّها باردة فيندرج فى الحار الحلو والمرّ والمالح والحريف والدسم . واليابس ما سوى التفه والحلو والدسم فان هذه الثلثة رطبة والبواقى كلّها يابسة . وذلك بحسب الاصل الذى يجرى عليه القياس فلا عبرة بما خرج عنهُ كالهندبآء فانها مع مرارتها باردة رطبة . [٧ ت] والبابونج فانه مع تفاهته حارٌّ يابس . واعلم ان كلّ واحدٍ من المرّ والمالح والحريف والحامض والعفص والقابض لا يكون الا يابساً . وكل واحد من التفه والحار والدسم يكون في الغالب رطباً . وما ليس كذلك فقد جرى على خلاف القياس

١) ورد هذا البيت في « الطيب » قبل البيت السابق

٢) حلوٍ : في « الطيب » : حلوٌ

لها صلة